تعظيم الفتيا

تأليف

الشيخ الإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على

الشهير بـــ "ابن الجوزى"

(٥١٠ – ٥٩٧ هـــ)

راجعه واعتنى به

الشيخ / منير عرفه

ويليه

ريحانة الإفتاء وجلال العلماء

للشيخ / منير عرفه

ملحوظة هامة

كتاب تعظيم الفتيا مسموع بالصوت على هذا الرابط :

للشيخ / صالح بن عبدالله العصيمي

محتويات الكتاب

فصل صفة المفتى ومرجعيته.....٣
فصل (وقد كان علماء السلف – رضى الله عنهم – مع أنهم قد جمعوا العلوم المشروطة فى الفتيا، يمتنعون تورعا).....٦
فصل (وكان علماء السلف – رضى الله عنهم – لشدة ورعهم إذا سُئلوا عن الشيئ يقولون أوقع هذا ؟ فإن لم يكن وقع، قالوا : دعونا حتى يقع).....١٠
فصل (وكانوا – رضى الله عنهم – يكثرون من قول : " لا أدرى " ، كيف وقد قاله رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–).....١٠
فصل (وقد كان فى السلف – قدس الله أرواحهم – من إذا عرف أنه قد أخطأ لم يستقر حتى يظهر خطأه ويُعلم من أفتاه بذلك).....١٤
فصل.....١٤
فصل (وما زلت الهمم تتقاصر، وآل الأمر إلى خلف هم بئس الخلف فمات العلم).....١٦
وينبغى للمستفتى أن يتحرى بفتواه أهل الدين.....١٨
فصل (وقد جاء الوعيد الشديد لمن يفتى وليس من أهل الفتوى).....٢١
فصل (فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، ويعرض عن طلب الرئاسة فى غير وقتها، فقد قال الحكماء : من تصدر وهو صغير فاته علم كثير).....٢١
ريحانة الإفتـــاء وجلال العلماء.....٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى فضلنا على الأمم بغزارة العلوم، ورزقنا ما لم يرزقهم من قوة الفهوم، وصلى الله على نبينا محمد البالغ من الشرف أقصى المبروم، وعلى أصحابه وأتباعه صلاة تدوم، أما بعد :

فإن الله عز وجل مَنَّ علينا بالقرآن وحفظه من تبديل وتحريف، وبالسنة التى أنشأ لها علماء يحرسونها عن تحريف، وباستخراج الفقه منهما وهـــو العلـــم الشريف، غير أنه لا يحصل إلا لمن حفـــظ القـــرآن والســـنة ورزق الفهـــم اللطيف، وقد كان علماء السلف لا ينصبون أنفسهم للفتوى إلا بعد اســـتكمال شروطها، فكانوا يحفظون القرآن، ويعرفون ناسخه من منسوخه، ومحكمـــه من متشابهه، وخاصة من عامه، ويوغلون فى علومـــه ويحفظـــون اللغـــة العربية والأحاديث المروية، وينظرون فى عدالة نقلتها، فيميزون صـــحيحها من سقيمها، وناسخها من منسوخها، ويوغلون فى علوم لا تلزم لخـــوف أن تتعلق بما يلزم.

فصل صفة المفتى ومرجعيته

[١] أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، أنا محمد بن مرزوق الزعفرانى، أنـــا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب، أنا أحمد بن أبى جعفـــر القطيعـــى وعلى بن أبى على البصرى قالا : أنا على بن عبد العزيز البرذعى، نا عبد الرحمن بن أبى حاتم، نا أبى ، قال سمعت يونس بن عبد الأعلى قال : قـــال محمد بن إدريس الشافعى – رحمه الله – : " الأصل : القرآن والسنة، فـــإن

لم يكن، فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وصح الإسناد منه : فهو سنة، والإجماع أكبـــر مـــن الخبـــر المنفرد، ، وإذا تكافأت الأحاديث؛ فأصـــحها – إســـنادا – أولاهـــا، ولـــيس المنقطع بشئ ما عدا منقطع ابن المسيب.

[٢] أخبرنا عبد الحق، نا ابن مرزوق، أنا أحمد بن على، أنا إبـــراهيم بـــن عمر البرمكى، (ح) وأنبأنا محمد بن عبد الباقى، عن البرمكى أنا محمد بـــن عبد الله بن خلف، نا عمر بن محمد الجوهرى، نا أبو بكر الأثـــرم، قـــال : رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل – رضى الله عنه – إذا كان فى المسألة عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – حديث لم يأخذ فيها بقـــول أحـــدٍ مـــن الصحابة ، وإذا كان فى المسألة عن أصحاب رسول الله – صلى الله عليـــه وآله وسلم – قول مختلف تخير من أقاويلهم ولم يخرج عن أقاويلهم إلى من بعدهم، وإذا لم يكن تخير من أقاويل التابعين، وربما كان الحديث عن النبـــى – صلى الله عليه وآله وسلم – وفى إسناده شيئ فيأخذ به إذا لم يجئ خلافـــه أثبت منه، مثل حديث عمرو بن شعيب وإبـــراهيم الهجـــرى، وربمـــا أخـــذ بالمرسل ما لم يجئ خلافه.

[٣] أخبرنا عبد الحق، أنا ابن مرزوق، نا أحمد بن على بن ثابت الخطيب – رحمه الله –، قال : أصول الأحكام فى الشرع أربعة :

الأول : العلم بكتاب الله – عز وجل – وما تضمنه مـــن الأحكـــام محكمـــا ومتشابها، وعمومًا وخصوصًا، ومجملاً ومفسرًا ، وناسخًا ومنسوخًا .

والثانى : العلم بسنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – الثابتـــة مـــن أقواله وأفعاله، وطرقها فى التواتر والآحاد، والصحة والفســـاد، ومـــا كان منها على سبب وإطلاق.

والثالث : العلم بأقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه، ليتبع الإجماع ويجتهد فى الرأى مع الاختلاف.

والرابع : العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلـــى الأصـــول المنطوق بها والمجمع عليها، حتى يجد المفتى طريقًا إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل، فهذا ما لا مندوحة للمفتى عنـــه ولا يجوز له الإخلال بشئ منه.

[٤] قال : وقد أخبرنا محمد بن عبد الوهاب الكاتب، أنا على بن عمـــر بـــن محمد الخضرمى، نا حاتم بن الحسن الشاشى، نا على بن خشرم، أنا عيســـى بن يونس، عن ابن عون، عن ابن سيرين، قال حذيفة : لا يفتـــى النـــاس إلا ثلاثة : رجل قد عرف ناسخ القرآن ومنسوخه، أو أميـــر لا يجـــد بـــدًا ، أو أحمق متكلف .

[٥] قال : وأخبرنا أبو الموفق محمد بن محمد النيسابورى، نا أحمد بن محمد بن الأزهر، أنا أحمد بن مروان المالكى، نا عبد الله بن مسلمة القعنبـــى، نـــا سهيل قال : قال الشافعى – رحمه الله – : " لا يحل لأحد أن يفتي في ديـــن الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بناسخه ومنســـوخه، ومحكمـــه ومتشـــابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل ، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله – صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم–، وبالناســـخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة،

وما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصـــاف، وقلـــة الكـــلام ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحـــة بعـــد هذا، وإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم فى العلم ولا يفتي.

[٦] أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى، عن إبراهيم بن عمر البرمكى عن عبد العزيز بن جعفر، حدثنا أبو بكر الخلال، قال : أخبرنى محمد بن على؛ نا صالح بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أنه قال : ينبغى للرجل إذا حمل نفســـه على الفتيا أن يكون عالما بالسنن عالما بوجـــوه القـــرآن عالمـــا بالأســـانيد الصحيحة، وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفته بما جاء عـــن النبـــى – صلى الله عليه وآله وسلم– فى السنن، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيما.

[٧] أخبرنا محمد بن ناصر، نا المبارك بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بـــن على الأزجى، قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول : نا الحســـن بن إسماعيل الربعى، قال : قيل لأبى عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله – وأنا أسمع : يا أبا عبد الله كم يكفى الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتى ؟ يكفيه مئة ألف ؟ قال : لا . قيل : مئتا ألف ؟ قال : لا ، قيل : ثـــلاث مئـــة ألف؟ قال : لا ، قيل : أربع مئة ألف؟ قال : لا. قيل : خمس مئة ألف؟ قال: أرجو.

فصل (وقد كان علماء السلف – رضى الله عنهم – مع أنهم قد جمعوا العلوم المشروطة فى الفتيا، يمتنعون تورعا).

[٨] أخبرنا ابن عبد الخالق، أنا ابن مرزوق، أنا أحمد بن على الخطيب، أنـــا الحسن بن أبى بكر، أنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، نا عبد

الله بن أحمد بن حنبل، نا أبو معمر، نا حكام الرازى، نا جراح الكندى، عن أبى إسحاق، عن البراء، قال : لقد رأيت ثلاث مئة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى.

[٩] أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، أنا أبو محمد الصريفينى، أنا عمر بـــن إبراهيم الكتانى، نا البغوى، نا زهير بن حرب، نا جرير، عن عطـــاء بـــن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال : أدركت عشـــرين ومائـــة مـــن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– من الأنصار، مـــا مـــنهم رجل يُسأل عن شيئ إلا ود أن أخاه كفاه.

[١٠] أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفى، أنا محمد بن مرزوق، أنـــا أحمد بن على بن ثابت، نا ابن الفضل، نا ابن درســـتويه، نـــا يعقـــوب بـــن سفيان، نا الحميدى، حدثنا سفيان، نا عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال : أدركت مئة وعشرين من الأنصار من أصحاب رســـول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– يُسأل أحدهم عن المسألة، فيرد هذا إلى هـــذا، وهذا إلى هذا؛ حتى ترجع إلى الأول.

[١١] أخبرنا ابن ناصر، أنا أبو سهل محمد بن إبراهيم، أنـــا أبـــو الفضـــل القرشى، نا أبو بكر بن مردويه، نا محمد بن أحمد بن إسحاق، نا أحمد بـــن النضر، نا عامر بن سيار، نا أبو الصباح عن عبد العزيـــز، عـــن أبيـــه – وكانت له صحبة – قال : قال لى أبى : يا بنى : رأيت رسول الله – صـــلى الله عليه وآله وسلم– وأصحابه محزونين كأنهم قوم أغمار لا يحسنون شيئًا، فإذا سئلوا عن شيئ أحال بعضهم على بعض، فإياك – يا بنـــى – أن تقـــول بغير علم فتخرج من الدين.

[١٢] أخبرنا عبد الحق، أنا ابن مرزوق، أنا أبو بكر الخطيب، أنا على بـــن أحمد المقرئ، نا محمد بن الحسين الآجرى، نا أبو العباس أحمد بـــن ســـهل الأشنانى، نا الحسين بن الأسود العجلى، نا يحيى بن آدم، نا حماد بن شعيب، عن حجاج، عن عمير بن سعد، قال: سألت علقمة عن مسألة، فقال : ائـــت عَبيدة فسله، فأتيت عَبيدة فقال : ائت علقمة، فقلت : علقمة أرسلنى إليك.

فقال : ائت مسروقًا فسله، فأتيت مسروقًا، فقال : ائت علقمة فقـــال علقمـــة أرسلنى إلى عبيدة، وعبيدة أرسلنى إليك، قال : فأت عبد الرحمن بـــن أبـــى ليلى، فأتيته، فسألته، فكرهه، ثم رجعت إلى علقمة فأخبرته، فقال : كان يُقال : أجرأ القوم على الفتوى أدناهم علما.

[١٣] وقال الآجرى : أنا جعفر بن محمد الصندلى، نا محمد بن المثنى، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول : سمعت المعافى ابن عمران يذكر عن سفيان ابن عيينة، قال: أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا فى المسائل والفتيـــا حتى لا يجدوا بدا من أن يفتوا، وقال المُعافى : قال سفيان : أدركت العلمـــاء والفقهاء يترادون المسائل يكرهون أن يجيبوا فيها، فإذا أُعفـــوا كـــان أحـــب إليهم.

[١٤] أخبرنا عبد الحق، أنا ابن مرزوق، نا أبـــو بكـــر الخطيـــب، أخبرنـــا البرقانى، قال: قُرئ على عبد الله بن محمد بن زياد – وأنا أسمع – : حدثكم محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى، قال سمعت الشافعى – رحمه الله – يقول : ما رأيت أحدًا جمع الله فيه من آلة الفتيا مـــا جمع فى ابن عيينة اسكت عن الفتيا منه.

[١٥] قال الخطيب : وحدثنا أبو نعيم الحافظ، أنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو العباس السراج قال: سمعت أبا عبد الله المـــروزي، قـــال : ســـمعت إسحاق ابن راهوية يقول: قال ابن عيينة : أعلم الناس بالفتوى أسكتهم فيهـــا، وأجهل الناس بالفتوى أنطقهم فيها.

[١٦] أخبرنا عبد الحق، أنا ابن مرزوق، أنا أحمد بن على بن ثابت، نا ابن الفضل، أنا ابن درستويه، نا يعقوب بن سفيان، نا الحميدى، نا سفيان، عـــن عطاء بن السائب، قال : أدركت أقواما إن كان أحدهم ليسأل عـــن الشـــيء فيتكلم وإنه ليرعد.

[١٧] قال يعقوب: ونا الفضل بن زياد نا أحمد محمد بن عبد الله الأنصارى، نا الأشعث عن محمد أنه كان إذا سُئل عن شيئ من الفقه الحـــلال والحـــرام تغير لونه وتبدل، حتى كأنه ليس بالذى كان.

[١٨] أخبرنا ابن عبد الخالق قال : أنا الزعفرانى، أنا أبو بكـــر أحمـــد بـــن على، أنا أبو حازم العبدوى، نا محمد بن عبد الله بن إبراهيم نا إبراهيم بـــن على الذهلى، نا أبو الصلت، قال : حدثنى شيخ – يقرب المدينـــة – قـــال : والله إن كان مالك – رضى الله عنه – إذا سئل عن مسألة كأنه واقف بـــين الجنة والنار.

[١٩] أخبرنا أبو الحسين اليوسفى، أنا أبو الحسن الزعفرانى، نا أحمـــد بـــن على، أنا إبراهيم بن عمر البرمكى، (ح) وأنبأنا محمد بن عبد البـــاقى عـــن البرمكى، نا محمد بن عبد الله بن خلف، نا عمر بن محمد الجوهرى، نا أبو بكر الأثرم، قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من عرض نفســـه للفتيـــا فقـــد عرضها لأمر عظيم إلا أنه قد تجئ الضرورة، قال الحســـن : إن تركنـــاهم

وكلناهم إلى عيٍّ شديد، فإنما تكلم القوم على هذا قيل لأبى عبد الله : فأيُّمـــا أفضل الكلام أو الإمساك؟ قال : الإمساك أحب إلىَّ، لا شك ، قيل له : فـــإذا كانت الضرورة؟ فجعل يقول : الضرورة الضرورة .

فصل (وكان علماء السلف – رضى الله عنهم – لشدة ورعهم إذا سُئلوا عن الشيئ يقولون أوقع هذا ؟ فإن لم يكن وقع، قالوا : دعونا حتى يقع).

[٢٠] وأخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، أخبرنا أبو محمد الصريفينى، أخبرنا عمر بن إبراهيم الكنانى، نا البغوى، نا زهير بن حـــرب، نـــا عبـــد الرحمن، عن سفيان، عن عبد الملك بن أبجر، عن الشعبى، عن مســـروق، قال : سألت أبى بن كعب عن شيئ، فقال : إن كان بعد؟ قلت : لا ، قـــال : فأجِمَّنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا .

[٢١] أخبرنا أبو الحسين بن عبد الخالق، نا أبو الحسن الزعفرانى، أنا أحمد بن على الحافظ، نا أبو عمر بن مهدى، أنا ابن مخلد، نا ظاهر بن خالد بـــن نزار، قال : حدثنى أبى : أنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عـــن أبيـــه، عـــن خارجه بن زيد، قال : كان زيد بن ثابت إذا سُئل عن الشيئ، يقـــول : كـــان هذا؟ فإن قالوا : لا ، قال : دعوه حتى يكون.

فصل (وكانوا – رضى الله عنهم – يكثرون من قول : " لا أدرى " ، كيف وقد قاله رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–).

[٢٢] أخبرنا أبو الحسين اليوسفى، أنا أبو الحسين الزعفرانى، أنا أحمد بـــن على بن ثابت، أنا على بن أحمد بن إبراهيم البصرى، نا الحسن بن محمد بن عثمان، ثنا يعقوب بن سفيان، نا موسى بن مسعود، حدثنا زهير، عن عبـــد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن جبير، عن أبيه، أن رجلاً أتى النبى –

صلى الله عليه وآله وسلم- ، فقال : يا رسول الله أى البلدان شر؟ قـــال : لا أدرى. فلما أتاه جبريل، قال : أى البلدان شـــر؟ قـــال : لا أدرى. فـــانطلق جبريل، ثم جاء فقال : إنى سألت ربى – تعالى – فقلت : أى البلدان شـــر؟ فقال : أسواقها .

[٢٣] أخبرنا محمد بن ناصر، أنا أبو سهل محمد بن إبراهيم، أنا أبو الفضل القرشى، أنا أبو بكر بن مردويه، نا محمد بن أحمد بن الحسن، نا بشر بـــن موسى، نا يحيى بن إسحاق، حدثنا شريك عن عطاء بن السائب، عـــن أبـــى البخترى، قال : قال على بن أبى طالب – عليه السلام – : وابردهـــا علـــى الكبد إذا سئل أحدكم عن ما لا يعلم، أن يقول : لا أعلم.

[٢٤] قال ابن مردويه : وحدثنا دعلج، نا محمد بن على بن زيد، أنا أحمـــد بن شبيب، نا أبى، عن يونس، عن ابن شهاب، عن خالد بـــن أســـلم، قـــال: خرجنا مع ابن عمر فلحقنا أعرابى فقال : أنت ابن عمر ؟ قال : نعم. قال : أترث العمة ؟ فقال : لا أدرى، فاذهب إلى العلماء بالمدينة فسلهم، فلما أدبـــر قَبَّل ابن عمر يديه ثم قال : نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن، سئل عما لا يـــدرى فقال لا أدرى.

[٢٥] قال ابن مردويه: وحدثنا محمد بن إبراهيم بن محمد، نا أبى، نا أحمـــد بن سعيد حدثنا ابن وهب، حدثنا حفص بن عمر، عن حيوة بن شريح، عـــن عقبة بن مسلم، قال : صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرًا، وكان كثيرًا ما يُسئل، فيقول : لا أدرى، ثم يلتفت إلى فيقول : هل تدرى ما يريـــد هـــؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا إلى جهنم.

[٢٦] أخبرنا عبد الحق اليوسفى، أنا الزعفرانى، أنا أحمد بن على الحـــافظ، أنا على بن الحسين، أخبرنا على بن الحسن الـــرازى، أخبرنـــا أبـــو علـــى الكوكبى، حدثنا أحمد بن عبيد، أنا الهيثم بن عدى، عن مجالد، قـــال : سُـــئل الشعبى عن شيئ، فقال : لا أدرى، فقيل له : أما تستحيى من قولك لا أدرى وأنت فقيه أهل العراق؟ قال : لكن الملائكة لم تستحى حين قالت : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)[١].

قال أحمد بن على : وأخبرنا محمد بن عبيد الله الحنائى ، أنا أبو بكر النجاد، حدثنا أبو يحيى الناقد، نا خالد بن خداش، قال : سمعت مالك بـــن أنـــس – رحمه الله– قال : كنا جلوسًا عند أيوب فسأله عمر بن نافع عن شـــيئ، فلـــم يجبه، فقال له عمر : لا أراك فهمت، قال : بلى، قال : فمالـــك لا تجبنـــى؟ قال: لا أعلم. قال مالك – ونحن نتكلم– .

[٢٨] أنبأنا محمد بن عبد الباقى، قال : أنبأنا إبراهيم بن عمر البرمكى، نـــا محمد بن عبد الله نجيب، حدثنا عمر بن محمد الجوهرى، نا أبو بكر الأثرم، أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كان أبى يُستفتى، فيكثـــر أن يقـــول : لا أدرى.

[٢٩] أخبرنا ابن ناصر، حدثنا أبو سهل، أنا أبو الفضل القرشى، حدثنا ابـــن مردويه، قال: حدثنى عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بـــن عمـــرو، حدثنا عبد الله بن أحمد بن كليب، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال : ســـأل رجل مالك بن أنس – رضى الله عنه – عن مسألة، فقال : إنى لا أحسنها.

---

١) سورة البقرة آية ٣٢

فقال الرجل : إنى ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال لـــه مالـــك: فإذا رجعت إلى موضعك فأخبرهم أنى قلت لك : إنى لا أحسنها.

[٣٠] قال ابن مردويه : وحدثنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن معدان، حدثنا محمد بن مسلم بن وارة، قال : سمعت أبا نعيم يقول : ما رأيت عالمًـــا قـــط أكثر قولا لا أدرى من مالك بن أنس– رضى الله عنه – .

[٣١] قال ابن مردويه : وحدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بـــن مهـــدى، حدثنا يحيى بن أكثم، نا عبد الله بن صالح عن الليث، عن محمد بن عجلان، قال : لا أدرى جُنَّة العالم، فإذا أغفلها أوشك أن تُصاب مقاتله.

[٣٢] قال ابن مردويه : وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أحمـــد بـــن عمـــر، وحدثنا الحوطى، حدثنا سعيد بن كثير، قال : سمعت أبا الذَّيَّال يقول: تعلَّم لا أدرى، فإنك إن قلت لا أدرى علموك حتى تدرى، وإن قلت : أدرى، سألوك حتى لا تدرى.

[٣٣] أنبأنا محمد بن عبد الباقى، عن إبراهيم بن عمر البرمكى، حدثنا ابـــن بطة، حدثنا محمد بن أيوب، قال إبراهيم الحربى : سمعت رجلاً يسأل أحمد بن حنبل – رضى الله عنه – عن يمين، فقال له: كيف حلفت؟ قال الرجـــل: لستُ أدرى كيف حلفت، فقال أحمد: نا يحيى بن آدم قال: قال رجل لشريك: حلفتُ ولست أدرى كيف حلفت، فقال له شريك : ليت إذا دريت أنت كيـــف حلفت دريت أنا كيف أفتيك.

.....

فصل (وقد كان فى السلف – قدس الله أرواحهم – من إذا عرف أنه قد أخطأ لم يستقر حتى يظهر خطأه ويُعلم من أفتاه بذلك).

[٣٤] أخبرنا ابن عبد الخالق اليوسفى، نا أبو الحسن الزعفرانى، نا أحمد بن على بن ثابت الخطيب، نا القاضى أبو عبد الله الصيمرى، نا العبـــاس بـــن أحمد الهاشمى، نا أحمد بن محمد المسكىّ، نا على بن محمد النخعى، قـــال: حدثنى محمد بن أحمد بن الحسن بن زياد، عن أبيه، أن الحسن بـــن زيـــاد اللؤلؤى اُستفتى فى مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذى أفتـــاه، فـــاكترى مناديًـــا فنادى: أن الحسن بن زياد أُستفتى يوم كذا وكذا فى مسألة فأخطأ، فمن كـــان أفتاه بشئ فليرجع إليه، فمكث أيامًا لا يفتى حتى وجـــد صـــاحب الفتـــوى، فأعلمه أنه قد أخطأ، وأن الصواب كذا.

قال الشيخ أبو الفرج (المصنف): وبلغنى نحو هذا عن بعض مشـــايخنا أنـــه أفتى رجلاً من قرية بينه وبينها أربعة فراسخ، فلما ذهب الرجل، تفكر، فعلم أنه أخطأ، فمشى إليه فأعلمه أنه أخطأ، فكان بعد ذلك إذا سُئل عـــن مســـألة توقف، وقال: ما فى قوة أمشى أربعة فراسخ؟!

.....

فصل

فلما انقضى ذلك الشِّربُ، وذهب الذين كانوا كاملين فى العلوم، قد حصـــلوا شروط الاجتهاد، جاء بعدهم قوم من الفقهاء، فقلدوا القـــدماء فـــى تصـــحيح حديث يحتجون به، وعولوا على الكتب التى وضعها أولئك: كـــ " المســـانيد" و"السنن"، وإن كان فى تلك الكتب ما لا يجوز تقليده، ثم جاء بعـــدهم أقـــوام قصرت هممهم عن مطالعة الكتب التى جمعها أولئـــك، فصـــاروا يقلـــدون

التعاليق فى باب الأحاديث، وذلك لا يكفى، فرب حديث فى التعاليق لم يقلـــه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– لا بل رُبَّ حديث منقول فى "السنن" بإسناد لا يجوز التعويل عليه، مثل:

[٣٥] ما روى أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– قـــال لعائشـــة – وقد أسخنت ماء فى الشمس– : " لا تفعلى، وأنه يورث البرص".

وهذا يرويه وهب القاص وخالد بن إسماعيل، وكانا كذَابَيْن.

قال أبو جعفر العُقيلى الحافظ : لا يصح فى الماء المشمس مسند.

[٣٦] ومثل : ما روى : " أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– جعل المضمضة والاستنشاق للجنب ثلاثا فريضة"، يرويه بركة بن محمد، وكـــان كذابا، وما يقول به أحد من الفقهاء.

[٣٧] ومثل : ما روى عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: " تعاد الصلاة من قدر الدرهم من الدم" وهذا قد رواه نوح بن أبى مريم .

قال يحيى بن معين : ليس بشئ، وقال الدارقطنى : متروك. وقد رواه روح بن غطيف وليس بثقة؛ قال البخارى: هذا الحديث باطل. وقال أبو حاتم بـــن حبان : هذا حديث موضوع لا شك فيه، ما قاله رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– .

[٣٨] ومثل : ما روى عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: " لا مهر دون عشرة دراهم ". يرويه مبشر بن عبيد وكان كذابا.

[٣٩] قال أحمد بن حنبل : لقن غياث بن إبراهيم داود الأودى، عن الشعبى، عن على: لا يكون مهر أقل من عشرة دراهم. فصار حديثًا .

[٤٠] ومثل ما روى الدارقطنى فى "السنن" من حديث ابـــن عبـــاس : عـــن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– أنه فرض صدقة الفطر على كـــل صغير وكبير، يهودى أو نصرانى. وهذا تفرد به سلام الطويل، قال يحيـــى بن معين: لا يكتب حديثه. وقال النسائى : متروك.

[٤١] ومثل : ماروى يحيى بن عنبسة عن أبى حنيفة عن حماد عن إبـــراهيم عن علقمة عن عبد الله، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– : " لا يجتمع على مؤمن خراج وعُشر" وهذا مما وضـــعه يحيـــى، لا يرويـــه غيره.

قال أبو حاتم بن حبان الحافظ: ليس هذا من كلام رســـول الله – صـــلى الله عليه وآله وسلم– ، ويحيى بن عنبسة دجَّال يضع الحديث، لا تحل الروايـــة عنه.

وكذلك قال الدارقطنى: هو دجال يضع الحديث، قال : وهو كذب على أبـــى حنيفة ومن بعده إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–، ومثـــل هـــذا يطول.

وقد ذكروا كثيرا منه فى التعاليق، وقد ذكرت أحاديث التعاليق ذكر منصف، وبينت صحيحها من سقيمها.

.....

فصل (وما زلت الهمم تتقاصر، وآل الأمر إلى خلف هم بئس الخلف فمات العلم)

[٤٢] أخبرنا ابن الحصين، أنا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، قال : حدثنى أبى، نا وكيع، نا هشام، عن أبيـــه، عـــن عبـــد الله بـــن عمرو، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآلـــه وســـلم– : " إن الله لا

يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقـــبض العلمـــاء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رُؤساء جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغيـــر علـــم فضلوا وأضلوا" أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين.

[٤٣] أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، حدثنا أبو محمد الصريفينى، أنا عمر بن إبراهيم الكنانى، نا البغوى، نا زهير بن حرب، نا جرير، عـــن قـــابوس، عن أبيه، قال : قال ابن عباس: أتدرون ما ذهاب العلم من الأرض؟ قلنـــا : لا. قال : أن يذهب العلماء.

[٤٤] أخبرنا عبد الحق، أنا الزعفرانى، أخبرنا أحمد بن على الخطيـــب، نـــا أبو عبد الله بن برهان، نا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البخترى، نا العباس الدورى، نا يعلى بن عُبيد، نا يحيى بن عبيد الله، عن أبيه، عن أبى هريـــرة، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– : " يخـــرج فـــى آخـــر الزمان قوم جهال يفتون الناس فيضلون ويضلون" .

[٤٥] قال الخطيب : وأخبرنا على بن أحمد الرزاز، نا عثمـــان بـــن أحمـــد الدقاق، حدثنا الحسن بن على القطان، حدثنا إسماعيل بن عيســـى العطـــار، حدثنا محمد بن حمير عن إسماعيل – يعنى : ابن عياش – قـــال : حـــدثنى طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : (نـــأتى الأرض ننقصها من أطرافها)[٢] قال ذهاب فقهائها ، وخيار أهلها .

[٤٦] قال : وأخبرنا ابن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، قال : حدثنى محمد بن أبى زكير، حدثنا ابن وهب، قـــال : حـــدثنى

٢) الرعد آية ٤١

مالك، قال : أخبرنى رجل أنه دخل على ربيعة وهو يبكى، فقال : ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، وقال له : أدخلت عليك مصيبة، فقال : لا ، ولكن أستُفتى من لا علم له وظهر فى الإسلام أمر عظيم .

قلت (المصنف) : هذا قول ربيعة والتابعون متوافرون، فكيـــف لـــو عـــاين زماننا هذا؟ وإنما يتجرأ على الفتوى من ليس بعالم لقله دينه.

.....

وينبغى للمستفتى أن يتحرى بفتواه أهل الدين.

[٤٧] أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى، أنا ابـــن مســـعدة، أنـــا حمـــزة السهمى، نا أبو أحمد بن عدى، حدثنا محمد بن أحمد البلدى، حدثنا إبـــراهيم بن الهيثم، نا عبد الوارث الخراسانى، عن خليد بن دعلج، عن قتـــادة عـــن أنس، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– : " إن هذا العلـــم دين، فلينظر أحدكم ممن يأخذ دينه". هكذا رواه مرفوعًا، والصواب أنه مـــن قول التابعين، فقد رويناه عن ابن سيرين وابن عون.

[٤٨] أخبرنا ابن ناصر، أنا نصر بن أحمد بن البطر، نا ابن رزقويـــه، أنـــا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا الضحاك بن مخلد، عـــن ابـــن عون، قال : سأل الحسن عن رجل، فقال رجل : يا أبا سعيد الرجل الفقيـــه، فقال : وهل رأيت بعينيك فقيهًا قط؟ إنما الفقيه الذى يخشى الله – عز وجل.

[٤٩] أخبرنا ابن عبد الخالق، أنا ابن مرزوق، أنا أبو بكر الخطيب، أنا على بن محمد بن عبد الصمد، أنا محمد بن إبراهيم بن على، نا مفضل بن محمد الجندى، قال : سمعت أبا مصعب أحمد بن أبى بكر يقول: سمعت مالك بـــن

أنس – رضى الله عنه – يقول : ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنـــى أهـــل لذلك.

[٥٠] قال الخطيب : وأخبرنا أبو حازم العبدوى، أنـــا الحســـين بـــن علـــى التميمى، قال: سمعت محمد بن إسحاق الثقفى يقول: سمعت الحسن بن عبـــد العزيز الجروى يقول : حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسى، عن خلف بن عمر – صديق كان لمالك – قال : سمعت مالك بن أنـــس – رضـــى الله عنـــه – يقول: ما أجبتُ فى الفتوى حتى سألتُ من هو أعلم منى : هل يرانى موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد فأمرانى بذلك، فقلت له : يا أبـــا عبد الله! لو نهوك؟ قال : كنت أنتهى، لا ينبغى لرجل أن يرى نفســـه أهـــلا لشئ حتى يسأل من هو أعلم منه.

[٥١] قال الخطيب – رحمه الله – : ويحق للمفتـــى أن يكـــون كـــذلك، لأن السائل جعله الحجة له عند الله وقلده فيما قال من غير مطالبة ببرهان ، فهو مقام خطر.

[٥٢] قال : وقد أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى، نا أبو العبـــاس الأصم، نا عبد الله بن هلال، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى، نا إسماعيل بـــن عبد الله ، نا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر قال : إن العالم بـــين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل.

[٥٣] قال : وأخبرنا الجوهرى، نا محمد بن العباس، نا يحيى بن صاعد، نـــا الحسين بن الحسن المروزى، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا المعتمر بن سليمان، عن أبى مخزوم النهشلى، عن سيار أبى الحكم قال : قال ابن عمـــر – رضى الله عنه – إنكم تستفتونا استفتاء قوم كأنا لا نُسأل عما نفتيكم به.

[٥٤] أخبرنا أبو الحسين اليوسفى، أنا أبو الحسن الزعفرانى، أنا أحمـــد بـــن على الحافظ، أخبرنا الصيمرى، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمـــد الشـــاهد، حدثنا مكرم بن أحمد، نا أحمد بن عطية، حدثنا محمد بن سماعة، قال سمعت أبا يوسف يقول : سمعت أبا حنيفة يقول : من تكلم فى شئ من العلم وتقلده، وهو يظن أن الله – عز وجل – لا يسأله عنه : كيف أفتيت فى ديـــن الله ؟! فقد سَهُلَتْ عليه نفسه ودينه .

[قال : وقال ابن عطية : نا ابن سماعة عن أبى يوسف قال : ســـمعت أبـــا حنيفة يقول :] ولولا الفرق من الله أن يضيع العلم ما أفتيت أحدًا، يكون لهم المهنأ، وعلىَّ الوزر !!

[٥٥] أخبرنا ابن عبد الخالق، أنا أبو الحسن الزعفرانى، أخبرنا أحمـــد بـــن على، أنا ابو نعيم، أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ، نا أحمد بن محمـــد بن سعدان، نا عمار بن خالد ، حدثنا عبد الحكيم بن منصور، عـــن حمـــاد الأبح، عن محمد بن واسع، قال : أول من يُدعى إلى الحساب يوم القيامـــة : الفقهاء.

[٥٦] أخبرنا ابن عبد الخالق ، أنا الزعفرانى، أنا أحمد بن على، أنـــا ابـــن الفضل، أخبرنا ابن درستويه، نا يعقوب بن سفيان، حدثنا هشام بن خالد، نـــا أبو مسهر، حدثنا مالك بن أنس، قال : حدثنى ربيعة، قال : قال لى ابن خلدة – وكان نعم القاضى – : يا ربيعة ! أراك تفتى الناس، فإذا جـــاءك رجـــل يسألك فلا يكن همك أن تخرجه مما وقع فيه، وليكن همك أن تتخلص ممـــا سألك عنه.

[٥٧] أخبرنا ابن عبد الخالق، أخبرنا الزعفرانى، أنا أحمد بن على، أنا ابن مرزوق، أنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا حنبل بن إسحاق، نا أبو نعيم، نا سفيان عن يحيى بن سعيد عن القاسم قال : لأن يعيش الرجل جاهلا خير له من أن يفتى بما لا يعلم.

.....

فصل (وقد جاء الوعيد الشديد لمن يفتى وليس من أهل الفتوى).

[٥٨] أخبرنا محمد بن ناصر، أنا أبو سهل محمد بن إبراهيم، أخبرنـــا أبـــو الفضل القرشى، نا أبو بكر بن مردويه، حدثنا على بن الحسين الكاتب قال : أنا جعفر بن محمد بن مروان قال : أنا أحمد بن عيسى العلوى قـــال : أنـــا محمد بن جعفر بن محمد قال : حدثنى أبى عن آبائه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : " من أفتى الناس بغير علـــم لعنتـــه ملائكـــة السماء ، وملائكة الأرض " .

.....

فصل (فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، ويعرض عن طلب الرئاسة فى غير وقتها، فقد قال الحكماء : من تصدر وهو صغير فاته علم كثير) .

[٥٩] وأخبرنا يحيى بن على، أنا أبو بكر الحافظ، حدثنا الحسن بن الحســـين بن حكمان، حدثنا أبو العباس الكندى، حدثنا إبراهيم بن عرفة، حدثنا محمـــد بن الربيع، قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : من طلب الرئاسة فى غير أوانها حرمة الله إياها فى أوانها.

وليعلم المؤمن أن الرئاسة على الحقيقة هى تقوى الله – عز وجل – . وقـــد قيل للإمام أحمد – رحمه الله – : إن معروفا الكرخى قليل العلـــم، فقـــال : "وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف".

نسأل الله – عز وجل – إيمانا صادقًا يُقبل بقلوبنا إلى طلب الآخرة ويعرض بها عن زخارف الدنيا الفانية، وأن يجعل اعتمادنا على العمل بمقتضى العلم، وينجينا من الرياء، فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : " من طلب العلم ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه لم يرح رائحة الجنة".

[٦٠] وقد أخبرنا أبو عبد الرحمن المروذى، أنا محمد بن الفضل الصاعدى، أنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، أنا إبـــراهيم بـــن محمـــد، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا على بن خشرم حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال : حدثنى يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار، عن أبى هريرة، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقـــول : " إن أول النـــاس يُقضى فيه يوم القيامة، ثلاثة : رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفهـــا، فقال : ما عملت فيها؟ فقال : قاتلت فيك حتى قُتِلتُ. قال : كـــذبت، ولكنـــك قاتلت ليقال هو جرئ، فقد قيل. قم أُمِر به فسحب على وجهه حتى ألقى فـــى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفهـــا، فقال : ما علمت فيها ؟ قال : تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن. فقال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ ليُقال هو عالم، فقد قيل، وقرأتَ القـــرآن ليقـــال هـــو قارئ، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقى فى النـــار. ورجـــل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفهـــا،

فقال : ما علمت فيها؟ فقال : ما تركت من سبيل تحـــب أن ينفـــق فيهـــا إلا أنفقت فيها لك. قال : كذبتَ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمـــر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ؟ أخرجه مسلم فى الصحيح .

.....

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبه أجمعين .

وكان الفراغ منه يوم الأربعاء التاسع من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وست مئة على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبد الرحمن بن أحمـــد بـــن عبد الرحمن بن على بن يحيى بن محمد الشهرزورى غفر الله له ولوالديـــه وجميع المسلمين آمين يا رب العالمين وذلك بمحروسة بالقـــاهرة المعزيـــة بدرب شمس الدولة بالمسجد المعروف بالفقراء الحلبيين أعاد الله من بركاتهم علينا وعلى كافة المسلمين آمين رب العالمين.

ريحانة الإفتـاء وجلال العلماء

الشيخ / منير عرفه

monirrrrrrr@yahoo.com

دعوتُك يا ابـنَ ديـنى لـو أجبـتَ ... إلى مـا فيـهِ خـيرُك لـو رَشـدتَ

إلى أمـرٍ تكـون بـه معـافىً ... مُصـانًا إنْ ذهبـتَ وإنْ أتيـتَ

إلى دُنيـا الفتـاوى لا تغـامرْ ... وإنْ زينـتَ أسـبابًا وشـتى

وإنْ نـادَوْكَ أنقـذْنا يـا صـاحِ ... وإنْ صـدقتَ دعـواهم وحـتى

ولا تحسـبْ دُعـائى دُعـاءَ ذُلٍ ... فـإنَّ الأمـرَ عِـزٌ إن وعيـتَ

ألم تسـمعْ كتـابَ اللهِ يُتلـى ... ويأتيـك البيـانُ فمـا انتبـهتَ

ولا تَقْـفُ مـا تجهـلْ يـا هـذا ... فـإنْ تهجـرْ نصـيحتَه سُـئلتَ

رسـولُ اللهِ قـد ألقـى دعـاءً ... لمـن أفـتى بـلا علـمٍ، قُتلـتَ

دعوتُـك يـا ابـنَ آبـاءٍ كـرامٍ ... ومَـنْ أسَسُـوا مجـدًا وَرثـتَ

فـإنْ خـالفتنى وعصـيتَ أمـرى ... فـلا ربٌ أطعـتَ ولا امتثلـتَ

فـإنَّ الأمـرَ جَـدٌ يـا صـديقى ... فـإنْ تسـعَ فى مرامِيـهِ هلكـتَ

وإنْ تزهـدْ فى مُحيـاهُ وتَنـأى ... فـإنْ أعطاكَـهُ اللهُ أُعنـتَ

فإنْ آلتْ – بـلا طلـبٍ – إليـك ... فلا تغفلْ قـولَ "لا أدرى" يـا أنـتَ

ولا تهجـرْ قـولَ أعـلامٍ ثقـاتٍ أنـارُوا العلـمَ فى الظلمـاتِ حـتى

فـإنْ كـانوا علـى قـولٍ جميعًـا فـإنْ تسـلكْ سـبيلَهمُ سَـلمتَ

وإنْ فيهـا تشـعبتْ الفِجَـاجُ فبـالقرآنِ فابـدأْ إنْ بحثـتَ

ويتلُـوه البيـانُ مـن الرسـولِ بـذاكَ اللهُ فى القـرآنِ أفـتى

ولا تأخـذْ بـأقوالِ الرجـالِ إذا مـا خـالَفُوا سـننًا عَلِمْـتَ

وإنْ كـانوا علـى الـرأسِ جميعًـا ففوقَهُم الرسـولُ ، فهـل فهِمْـتَ

أَخَـا علـمٍ دعوتُـك للمَعَـالِى فقِـسْ علـى ذاكَ ، أَمِنْـتَ

وهـذى ريحـانتى جاءتـك تسـعى وللعلمـا جـلالٌ إنْ صـبرت

ولا تعمـدْ لتشـديدِ الفتـاوَى فـدينُ اللهِ يسـرٌ ، كَيْـفَ ضِـقتَ

ولا تخـشَ العبـادَ ومـا يلومُـوا فوجـهُ اللهِ أَبْقَـى ، قـد كُفيـتَ

ولا تـرضَ الوقـوفَ ببـابِ ذلٍ وللأحقـادِ فـاتركْ ، قـد نجـوتَ

وعشْ ما شِئتَ دَهْـرًا يـا صـديقى فللأكفـانِ سَـاعٍ ، كَيْـفَ أنـتَ